ينطق عن الهوى قصائد

طاهر رياض

البحر

«ليس البحر بعيدا»
قال بصوت حافٍ ،
ورمى بيديه جهاتٍ غامضةً
خلف تخوم الليل .

سألت : وكيف يكون البحر ؟
- سماءً سائلةً ،
أزرقَ أحياناً ، أخضر أحياناً ،
لا تحتَ له لا فوقَ
ولا يسكنه غير الغرقى

قلت : الغرقى مَوتى
قال : الأحياء إذن موتى . .

طاهر رياض، شاعر من الأردن/ عمان

– لكن الأمواج . .
– مراكبُ للضوء ، فِراش قلقٌ للأقمار ،
طيور غابرةٌ
لم يبق سوى أجنحة منها ، تهدرُ . .

– أحلمُ بالبحر ،
فعلمني كيف أمد إلى البحر خطاي
وسبّحني في البحر
وضوئني بقناديل البحر ، وقل لي . . .

– ليس البحر بعيداً ،
لكنك تلهو بالأسماْء
وتعكّر ظلي . .
ثم بصوت حافٍ قال :
البحر سراب مملوء بالماْء

ذاكرة

هل كنتُ وحيداً في «بافوس»؟
لا أتذكر !

قال صديقي :
كنا نلهو برذاذ البحر معاً ،

ونعضّ الأرصفة الممتدة بالخطوات العمياء ؛

وقال صديق آخر :
أهرقنا كل نبيذ العيد ،
ودوّخنا جسدينا موسيقى ؛

امرأةٌ أعرفها لكني لا أتذكرها قالت :
عطري ما زال على كفيك ،
تشمّمْ كفيك ،
تحسسْ صدرك تلقَ عليه ملاسة نهديَّ
وشدة ظهري ،
واسألْ تفاحك هل كان ليخضرّ ويقسو
لولا سِلتُ بمائي فوق حصى الشطآن . .
ألا تتذكر ؟
. . لا أتذكر . .

يبدوأني أفقد ذاكرتي ،
أو
أني كنت وحيداً – حقاً –
في «بافوس «!

هو

لا ريح له
لا لون

ولا طعم
. . وليس الماْء

لا يأخذ شكل إناءٍ
أويمكن أن يحويه إناْء

أشهى مما لا اسم له
وألذ صدىً من كل الأسماْء

عريانٌ أبداً
بردان أبداً
وبه تتغطى كي تدفأ
كلُ الأشياْء

ليس فضاءً
لكن يغفوكل فضاء
بين يديه
ويصحوفي عينيه
أقلَّ فراغاً
وأحدّ سماْء

هوبيتٌ
وهوطريقٌ
وهوالسير إلى بيت
فوق طريقٍ

مرصوفٍ بالخطوالأعمى
والوجهات العمياْء

وهوالبُعد
القُرب
الوصل
الفصل
الغيب
الممكن
. . . وهوسواه

كنتُ لأعرفه
لولا أن الفجر انتهبَ الليلَ
على غفلة حسٍ ،
لولا غاصت في ذاكرة الغيم ،
بلا عَودٍ ،
كثبانُ الصحراْء

هي

لم أزل ماشياً في السراب البدائيّ
أنسج من غيبه امرأة أشتهيها

لم أزل أسمع الشمس تخبز أردافها

وأشم الندى يتخمّر في حلمتيها

لم أزل لا أسمّي يديّ
بغير يديها

هي امرأتي كلُها ،
لحمها بيت لحمي
ونكهة روحيَ من طمي أنفاسها

وجهها وجهتي قائماً للوصال ،
وأرنبها خلوتي

إذاً قبّليني
على فمها يا حياة ،
ويا موتُ كن نطفةً تتلهى بها رحمها
. . نطفةً أيها الموت ؛

واقعد هنالك في ثقب ابرتها
يا سرابي البدائيّ
واشهدْ مروري كخيط رفيع من اللوز ،
خيط يدور على نفسه
ويدور
إلى أن يغيب
وينسج من غيبه امرأة
يشتهيها . .

حفيف

كل شيء يَحدث الآن ولا يحدث ،
فوق المقعد الجلديّ
بين النار والسقف الذي يهوي وئيداً ؛
مثل أن يعطش ماءٌ ، مثل أن نبقى بعيدَين
ووجهي بين كفيك
وساقاك نهارٌ تحت كفّي

تُحسين ارتعاشاً غائباً في زَرَد الظهر ؟
إذن . . نملأ كأسينا
كما اعتدنا قديماً ،
ونصلي كي يُعلّي «باخُ «نهديك
إلى حيث فمٌ مرٌ يطوفُ

وتعالي نتصفحْ عطرنا في صور العتمة :
هذي أنت تمشين على وقع المطرْ
وتغنين على إيقاع فوضاه ،
وهذي ضحكتي جمّعتُها من رقصة الحور ،
وفي زاوية الصورة ملقىً مهملاً
عِقدٌ من الرمل خفيفُ

كل شيءٍ يحدث الآن ولا يحدث ،
في الغرفة وجهان غريبان ،

هواءٌ مثخنٌ بالصمت ،
وقتٌ يتدلّى لزجاً من ساعة الحائط . .
هل لاحظتِ كم تشبه مرآةٌ سواها
وبكم من نَزَقٍ يشبه نجمٌ أخته ؟

أينا كان إذن أنثى
وأيٌ ذَكراً كان ؟ التَبَسْنا . . .
وكما يحدث في الموت
خصفْنا من دم الذكرى على عوراتنا
ومسحنا ظلَنا النازف منا بيدينا

ربما هذا الخفيفُ
كلُ ما يبقى
وما ينساه في ذاكرة العشب
الخريفُ !

كلام

سأحسب أني متُ
وأنك آخر حي يصلي عليَ
وأنك حفَارُ قبري
وشاهدتي
والمعزون ،

والكلمات التي تتردد بين الشفاه
كصمغٍ ،
وأنك تبتهجين ،
ودمعك ينحب في وجنتيك
بأني متُ . .
بأني ، أخيراً ، سكتُ !

سأحسب أن يدي حين مسّت يديكِ
شراعٌ يمسّ الهواء
لأول مرةْ

وأن المياه التي حَملته بعيداً . .
بعيداً رمته
على حين غِرّةْ !

سأحسب جسميَ بيتاً من القشّ
تسكنه الريحُ ؛
قلبيَ بئراً
تجفّ
لتبلغَ سرَ قرارتها ؛
ونهاري أصابعَ مبتورةً
تتقرّى ، على مهَلٍ ، كفَّها . .

وسأحسبني ولداً تائهاً
يتسكع في طرقٍ لا تؤدي إلى بيته ،
يركل الوقتَ تزجيةً للفراغ ،
يغنّي
لينجوَ
من
صوتهِ . .

سأحسب هذا الكلام ضلالاً
لمعناي في لغتي ،

ثم أغرس في الطين ساقيَّ
كي يحصد الصيفُ ركضهما ،

وأجرّب نومي على كل ليلٍ
يمرّ بلا موعدٍ
ويقيم إلى آخر العمر
في غرفتي . .

ضحك

أصغي ، أحياناً ، كي لا أسمع شيئاً
وأغمّس كفّي في الماء فتغدو سمكةْ

أحرثُ بالمجذاف الخشبيّ هواءَ الفجر
وأحياناً أحصده بالشبكةْ

أبحث عن أرضٍ تحمل خفّتها
وسماءٍ تتحمّل وزر خطاياها

أزرع نومي بعيونٍ يقظى
وهشيم مرايا

أحبس فى علبة كبريتٍ ريحاً
وأبدّدها عوداً عوداً

أسمح لا مرأةٍ أن تخذلني
أسمح لا مرأة أخرى أن تخبز لي نهديها

أتسلّى . . فأحكّ بشيءٍ شيئاً
حتى أنسَيه اسمه

أحياناً أضحك حتى الموت
بقلبٍ مجنونٍ
وفمٍ ملآنٍ بالعتمةْ !